الشيخ بوعمامة القائد المتصوف

أ.محمد الأمين بلغيث.

أستاذ مكلف بالدروس بكلية أصول الدين - جامعة الجزائر-

مدخل عام:

الشيخ بوعمامة مجاهد عاش ظروف أمته بكل حواسه، فأيقظت فيه هذه الظروف روح التحرر من الظلم المسلط على الجزائر، كما عايش الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية، الإقليمية والدولية التي ستجد صداها الواسع في تكوين شخصيته كما تكون لديه الأبعاد السياسية والعسكرية خلال ثورته العارمة منذ **1881**م. إلى غاية عام **1908**م.

الشيخ بوعمامة المجاهد المتصوف، يطرح مجموعة من الأسئلة هي:

-لماذا اختار الشيخ بوعمامة طريقا جديدا في حياته الفكرية وانتمائه الأصلي للطريقة الشيخية؟.

-كيف كانت ردود فعل ومواقف أصحاب الطريقة الأم...والخصوم السياسيين؟

-ما هو الجديد في طريقة بوعمامة أو البوعمامية كما يحلو لأتباعه تسميتها؟.

-هل الشيخ بوعمامة النموذج الفذ بعد الأمير عبد القادر الجزائري في تعامله مع الإسلام الطرقي بإيجابية، ولم يقف موقف المتفرج من الصدمة الاستعمارية من خلال توسع فرنسا في الجنوب الغربي الجزائري، أو أن الطريقة التي ينتمي إليها الشيخ بوعمامة تتوافق ومفاهيمها كما ذهب إلى ذلك الأستاذ أبو القاسم سعد الله مؤرخ الجيل، مع مبادئ الجامعة الإسلامية وهل يمكن أن تنتمي البوعمامية إلى التيارات المنضوية تحت التيار الفكري للجامعة الإسلامية كما هو شأن الوهابية[1]، والمهدوية بالسودان[2]، والحركة السنوسية بطرابلس الغرب والصحراء الكبرى؟

إذا نحاول الإلمام بشخصية الشيخ بوعمامة، فإن ترجمة حياته الوافية فنقول أن الرجل قد انخرط في سلك حلقات العلم منذ نعومة أظافره، حيث تدرج من الكتاب لحفظ القرآن الكريم ومبادئ الخط إلى أن تدرج في طلب العلوم الدينية من خلال مبادئ العقيدة الإسلامية، مرورا بكل المدارس الكلامية، إلى الفقه وعلومه، كما يشهد مترجمو الشيخ بوعمامة، ثم انكب على دراسة التصوف والطرق الصوفية التي كانت لها التأثير العميق على حياته وعقيدته وتصوره[3].

كما يشهد من أرخ للشيخ بوعمامة من جهة أخرى بقدرة فائقة في الحفظ والفهم، وقد أصبح منذ فترة مبكرة على درجة كبيرة من العلاقات بكبار المشايخ والمقدمين بمنطقة الجنوب الغربي

الجزائري[4]، التي يعرف قصورها وقبائلها معرفة ستجعل من رحلاته خلال مرحلة التحصيل العلمي مقدمة إيجابية حينما كان يرسم الخطط الاستراتيجية لمعاركه من خلال تصديه للضباط الفرنسيين الذين واجههم طيلة جهاده العسكري الذي يعتبر من أطول محطات المواجهة الحربية في تاريخ المقاومة الشعبية في جزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين[5].

لقد شكل الشيخ بوعمامة شبكة من العلاقات المتينة بين أتباع طرق صوفية غير الطريقة الشيخية، كما ربط علاقات مع أتباع ومحبين من أهل "توات"والشعانبة" و"قورارة"و"تيديكلت"، وبعد رحلات كثيرة في الجنوب الغربي، وجنوب المغرب الأقصى، استقر به المقام بقرية "مغرار" على بعد 45كلم من عين الصفراء، وهناك أسس زاويته الخاصة عام 1875م. بعد أن تمكن من كسب علاقات كبيرة مع كثير من القبائل والشخصيات المحلية من بين القبائل العربية المقيمة بالحدود الجزائرية المغربية "ذوي منيع"، "بني قيل"، أولاد جرير الأنجاد، وغيرهم.

والمتتبع لنشاطه في مرحلة "التكوين" وتهيئة المنطقة لشيء يؤمن به الشيخ بوعمامة، إستطاع أن يخترق النفوس الساكنة بلغة وأسلوب جديدين ودعوة جديدة من خلال التعاليم التي كان يدعو إليها.

لقد استهل بوعمامة طريقه الجديد الذي بدأ يطرحه في هذا الفضاء الذي له قابلية للاستماع إلى كل مايثير فيه روح الأمل في الخلاص من الوضع الذي تعرفه المنطقة.

في هذا المحيط، و بثقة كبيرة في تحصيله العلمي واجتهاده، طرح الشيخ بوعمامة على أتباعه ومستمعيه مجموعة من الأفكار التي لم يعهدوها من قبل، حيث طرح عليهم مسألة تكاد تكون حتمية دينية وروحية، بل وإعتقادية هي مسألة:"الولاية"و "البركة" إذْ أن فهمه العميق قد أكسبه "روح النقد" فمنطقه الصوفي لا يخرج عموما عن الطريقة الشيخية إلا أن خروجه عن المألوف كما كان يدعو أتباعه ومستمعيه ومريديه هو في صياغته لمسألة "الولاية والبركة" حيث يقول:"إن الولي أي كانت درجته في سلم الطريقة الصوفية، إذا ما حل به الموت، فإنه بإمكانه أن يترك سبيل هذه الولاية أو البركة لأتباعه يتوارثونها كابر عن كابر" إلى ما لا نهاية وهو بذلك يرفض كليًّا ما كان شائعا في الطرق الصوفية المعروفة في محيطه كالطيبية[6] أيام عبد السلام الوزاني، أو الشاذلية، أو حتى طريقته الأم الشيخية التي تعود في جذورها وتسلسل ولايتها إلى عهد الخليفة الراشدي أبي بكر الصديقﷺ وبهذا طرح نفسه بديلا للمريدين والمقدمين من كل الطرق الصوفية بالمنطقة، بمعنى أوثق، إنه أول تجديد في لغة الحوار بين أتباعه، وكانت فكرة الولاية والبركة وأساسها فهم الشيخ

بوعمامة منبعه الإيمان العميق، وتوحيد الله ﷻ، وسنامها تقوى يجدها الولي في قلبه فَيُزَكَّى بكرامات وولاية، وهي مسألة شخصية لا دخل في انتماء صاحبها لعائلة أو طريقة صوفية معينة، ولذلك ففي سبيله الجديد وطريقة فهمه للتصوف والطرق الصوفية:"أن أولاد سيدي الشيخ الذين يعتقدون أن الولي الصالح سيدي الشيخ الذي يشكل مخيالهم الفكري وميراثهم الذي يتميزون به عن غيرهم هو من الناحية الإسلامية الخطأ الكبير"، ويستشهد الشيخ بوعمامة بقوله تعالى: ﴿لايكلف الله نفسا إلا وسعها﴾.

فإذا اعتقد أي كان أن انتماءه لسيدي الشيخ قد ضمن له مكانا في الجنة فقد وقع في التناقض الصارخ أمام تعاليم القرآن الكريم، وأمام سماحة ودعوة سيدي الشيخ نفسه[7].

هذا النقد المنطلق من إعادة تصحيح العقيدة الإسلامية والمنهج الذي بسطه الشيخ بوعمامة لأتباعه سيجلب عليه لعنة خصومه من أتباع الطريقة الشيخية والطيبية والسلطات الاستعمارية وشخصيات معاصرة لثورته الفكرية والعسكرية، وهو ما يدعونا للإجابة عن ردود أفعال أصحاب الطريقة الأم وكذلك الخصوم السياسيين.

من نافلة القول التذكير أن بوعمامة بموازين عصرنا شخصية كبيرة لم تجد من ينفض عنها غبار الوهم والتشويه والسخرية والنسيان وكيل التراب على ماضيه الجهادي والسياسي والعسكري[8].

أول الخصوم الذين وصلتنا أخبارهم هو ما كتبه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، صاحب الكتيب الصغير:"القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط"[9].

وقد اتخذ الشقراني موقفا سلبيا من بوعمامة حيث يقول :"أعلم أنه في عام ثمان وتسعين ومائتين وألف ثار رجل من أولاد سيدي الشيخ بالقبلة يقال له أبو عمامة على الفرنسيين يريد قصم دولتهم الراسخة، وممتلكاتهم الراسية الرامخة ويكون أحق بها وأهلها، هذا مراده..."وقد خصص الشقراني في كتيبه هذا مجموعة من الأفكار التي يتجاهل فيها ثورة بوعمامة، ولا يعترف له بالكفاح الذي خاضه ضد الغزاة الفرنسيين واعتبر ما قام به بوعمامة مجرد طلب للرياسة والسيادة، بل "ذهب في تهجمه على الشيخ بوعمامة إلى أبعد من ذلك، إذْ لم يتورع عن وصفه بالجهل والسفه، ويرى أن حرقه لأعدائه خروج عن تعاليم الإسلام[10]،كما يذهب الشقراني إلى تحميل بوعمامة كل الكوارث التي عرفتها الجهة الغربية بسبب ثورته على الفرنسيين، وقد انبهر الشقراني بمنشآتهم العسكرية وبالسكك الحديدية التي أنشأتها فرنسا لخدمة مصالحها الاستعمارية.

والشيء الذي يدعو إلى طرح السؤال المحرج، لصالح من كتب الشقراني رسالته بهذه اللغة وبهذا الأسلوب، الذي يحط من شأن أبناء جلدته ومن أبطال الجهاد في القرن التاسع عشر ثم كيف انخرط في سلك الكتبة الذين عرفناهم من الذين مدحوا فرنسا الاستعمارية في تونس والجزائر بل وفيهم من اشتغل جاسوسا لصالح فرنسا ومحرضيها على احتلال المنطقة كمحمد الحشايشي التونسي صاحب الرحلة الصحراوية الذي نعرف آثاره على الأقل، وأما صاحبنا الشقراني "النكرة" الذي لا مبرر لتعقله وجبنه من خلال مجانبته للحقيقة وتجنيه على مسيرة وطن وأرواح شهداء هم رموز المقاومة والجهاد وهو نفس الموقف الذي تبناه الآغا بن عودة المزاري صاحب طُلوع سعد السعود الذي وقف نفس الموقف الذي تبناه الشقراني سالف الذكر والموقف الأخير للآغا المزاري لأنه من عائلة مصطفى بن إسماعيل أول المناوئين للمقاومة التي قام بها الأمير عبد القادر الجزائري، على الرغم من الموقف الإنساني المشرف للأمير الذي أصابه الجزع الكبير حينما بُشِّرَ بمقتل مصطفى بن إسماعيل (ما بين 23 و24 ماي 1843م قال الأمير: "فإني لا أحب أن يكون مصطفى بهذه الحالة وإنما أحببته أن يأتيني على فارسه حيا مزيل عنا للنكالة"[11]، فقد تمنى أن يراه على جواده محاربا للكفار الفرنسيين لا عميلا لهم حتى أصابه العار الأبدي الذي لا يمحى من يوميات الشعب الجزائري[12].

أما موقف أصحاب الطريقة الشيخية كما تتحدث النصوص فتتمثل في تفرد الشيخ بوعمامة بالدعوة الجديدة دون أن يعود إلى كبار زوايا الشيخية بحكم الظروف العسكرية والشتات الذي لحق عائلة أولاد سيدي الشيخ ومن النصوص النادرة في هذا الموضوع النص الذي يتحدث عن إعلان الشيخ بوعمامة الجهاد وكيف استنكر زعماء الطريقة الأم عدم مشاورتهم ومشاركتهم في هذا الأمر الذي يعني المنطقة بأكملها.

أما السلطات الاستعمارية وجرائد ومجلات المنطقة ومراسلات وتقارير بعض الطرق الصوفية المعادية كالطيبية التي عمل زعيمها للتوسط للشيخ بوعمامة من أجل الآمان لدى السلطات الفرنسية وهو دعوة لتثبيط الثوار وزعيم الثورة.

وفي خاتمة هذه الورقة سأكتفي بشهادة الأديب قاي دي مونباسانت (Guy de Maupassant) الذي جاء بعقلية عِلْية القوم بباريس للنظر والتحقيق والفرجة، ومما تجدر الإشارة إليه أن شهادة "قاي دي مونباسانت (Guy de Maupassant) شهادة ثمينة:"وشهد شاهد من أهلها" فرغم سوء فهمه لأسباب الثورة وحركة الجهاد التي قام بها الشيخ بوعمامة، فقد وصف بؤس المنطقة وما

انجر عن خرابها نتيجة الاحتلال والغزو والدمار الذي أحدثته العسكرية والقوانين الفرنسية الجائرة، هذا إذا تجاوزنا الشتائم المجانية التي أطلقها من خلال الأوصاف والنعوت التي خصَّ بها الشيخ بوعمامة، فنزع عنه صفة الزعامة الروحية والبطولة والفروسية من خلال قيادته للجيوش، وحنكته الدبلوماسية التي عالج بها علاقاته مع المغرب والسلطات الاستعمارية وأعوانها فإن شهادة الأديب الفرنسي شهادة دامغة على بؤس المنطقة في ظل الغزو الشامل المبرمج للعسكرية الفرنسية.

ما هو جديد البوعمامية؟.

مما يعرف في أدبيات ونصوص الطرق الصوفية الأم أو الفروع في بلاد المغرب أو المشرق، ما يعرف بأوراد الطريقة التي تُتْلَى في حلقات الذكر، ولكل طريقة صوفية مهما كان شأنها لها أسلوبها وحلقاتها التي تعبر بها عن تميزها، وقد خصص محمد بن علي السنوسي الكبير مؤسس الحركة السنوسية كتابا هاما في هذا المجال سمّاه:"السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين"[13]، مما يدل على أن هذه الطرق الموغلة في التاريخ الثقافي والاجتماعي للمنطقة، ليست اكتشافا جديدا أو غريبا عنَّا، وهو ما يميز زاوية الشيخ بوعمامة حيث أنه "أجاز لأصحابه أن يجمعوا بين طريقته وطريقة أخرى"[14].

وهو السبب الذي طرح علاقاته الوطيدة بالسيد الحاج المهدي باجودة أصيل مستغانم الذي أصبح شخصية مميزة، والممثل الحقيقي للحركة السنوسية بمنطقة "عين صالح" والذي سيكون له شرف الجهاد والاستشهاد في مطلع القرن العشرين في قصره المعروف.

كان الشيخ بوعمامة يدعو أحبابه ومريديه وأتباعه إلى الوحدة بين مختلف الطرق الصوفية كما تجاوب مع مبادئ ومنهج الجامعة الإسلامية التي كان يدعو إليها جمال الدين الأفغاني بحرارة[15] لأن الأصل في الوحدة وتجميع القوة لمواجهة العدو المشترك، بينما ما عاشه الشيخ بوعمامة هو عكس ذلك حيث أصبحت الطرق الصوفية مجالا للحزازات والاختلاف بل المقاطعة التي تؤدي في أحيان كثيرة للحروب الدامية[16].

فإذا كان الوِرْدُ المشهور الذي تردده الألسن في فضاء الغرب الجزائري:"لا إله إلا الله بوعمامة ضيف الله"، فإن الرجل بالنسبة لأصحابه هو مولى الساعة أو صاحب الوقت أو كما يحلو للبعض، هو الرجل المقصود في حديث رسول الله ﷺ:"يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها"[17].

هذا هو الشيخ بوعمامة المجاهد، والمتصوف، الذي عرفنا بطولاته ومعاركه فرحمة الله على الرجل القائد والزعيم الذي شرف دينه ووطنه ووحد قبائل متنافرة متحاربة متنازعة في فضاء صحراوي شاسع وستبقى مقاومته ما رددت الألسن أشعار الشاعر الجزائري الكبير محمد بلخير.

فإن لم يحقق إلى غاية وفاته بالمغرب الأقصى ما كان يصبو من انتصارات وتحرير للبلاد فقد كان بحق وحقيقة عبد القادر الجزائري الثاني أو عبد القادر الثاني، ورغم ما قيل(20) عن الرجل، فإن وراء هذه الشخصية التي حققت من خلال جهادها وكفاحها دورها الديني والوطني كأي رجل شريف أحب وطنه وأخلص لدينه.

الهوامش

1- هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن إبراهيم بن التاج المشهور بأبي عمامة، سليل عائلة أولاد الحرمة التي تنحدر من أولاد سيدي التاج الابن الثالث عشر للجد الأول سيدي الشيخ، وقد انحاز هذا الفرع إلى التراب المغربي بمقتضى معاهدة لالة مغنية ليوم 18 مارس 1845م، لذلك يطلق عليهم أولاد سيدي الشيخ الغرابة.

بوعمامة من مواليد 1838 أو 1840 بفيقيق في قصر الحمام الفوقاني، وتجمع الوثائق التاريخية على أنه غادر فيقيق نهائيا عام 1875م ليستقر بمغرار التحتاني الذي به أسس زاويته، حيث سلك طريق الزهد والعلم وحياة التقشف والعبادة أو تعليم القرآن ودراسة المسائل الفقهية راجع:

الدكتور إبراهيم مياسي، ثورة الشيخ بوعمامة، مجلة حوليات جامعة الجزائر. الجزء الثاني، العدد الممتاز. رقم10. الجزائر. أفريل1997م.

2- تنسب هذه الحركة الإحيائية إلى السيد:الشريف محمد أحمد بن عبد الله، والذي ينتهي نسبه إلى البيت النبوي، والذي عرف بعد قيام دعوته التي حارب فيها الأتراك ونظام حكمهم بالسودان، وانتصر على الحكومة القائمة آنذاك، واجتمع حوله أكثر أهل السودان بعضهم لأول وهلة، وبعضهم بعد شك وتردد، فعرف بعد ذلك بالإمام محمد أحمد المهدي، وأثر عنه الصدق والاستقامة على الشريعة وكان زاهدا عابدا وعلى درجة من العلم مقدرة بين أهل زمانه مع حفظه للقرآن الكريم.

وقد ولد محمد أحمد في 12 أوت سنة 1844م في جزيرة "لب" التي تبعد عن دنقلة خمسة عشر كيلومترا فهو مهدي السودان وقائد الثورة التي صهرت السودانيين في بوتقة واحدة فخلقت

منهم الثورة المهدية شعبًا واحدا بعد أن كانوا ينقسمون إلى ممالك وسلطنات أهمها سلطنة الفونج في الشرق، وسلطنة الفور في الغرب، والنوبيون في الشمال...كما أن الأعراق المختلفة لسكانه: عرب، ومستعربون ونيليون وحاميون كانت تسهم في تمزق البلاد فلما جاء المهدي عاد بالناس إلى مرحلة الدعوة الإسلامية وأمرهم بالتوحيد وإقامة الدولة الإسلامية في مواجهة انحراف الأتراك والحكام المصريين الذين وقعوا منذ سنة **1844**م. تحت سيطرة الأجانب وقد بدأت ثورته على الحكم المصري التركي في سنة **1881**م. راجع عنه: الخواض الشيخ العقاد، الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية بين تأكيد الحقائق وتفنيد المزاعم، بيروت دار الجيل **1418**هـ-**1998**م. ص:**186-187**. د.محمد عمارة ،تيارات الفكر الإسلامي القاهرة، دار المستقبل العربي،**1983**م. ص:**271-.282**

3- تنسب هذه الحركة الإصلاحية إلى محمد بن عبد الوهاب المولود في **1115**هـ/**1703**م. بنجد وتوفي بها عام **1206**هـ-**1792**م فعمل على بناء سلطة تزع أهل الضلال والفساد لأنه يعلم أن الدولة أقدر على تنفيذ الأحكام من تأليف كتب أو رسائل في الفقه والدعوة راجع أخباره و أخبار دعوته محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، نفس المرجع. ص**254** ومابعدها. أنظر أيضا تفصيل وقراءة نقدية للوهابية ومسارها التاريخي: د. محمد الطالبي، عيال الله (أفكار جديدة في علاقة المسلم بنفسه وبالآخرين، تونس، دار سراس للنشر،**1992**م. ص**105** وما بعدها.

4- تنسب هذه الحركة السياسية والدينية إلى السيد: محمد بن علي بن السنوسي بن العربي الأطرش بن محمد بن عبد القادر بن أحمد شهيدة ويرجع في نسبه إلى الفرع الإدريسي (من خلال إدريس الأزهر(الأصغر)باني فاس ابن الإمام إدريس الأكبر أول ملوك الأدارسة.

وكانت السنوسية دعوة من الدعوات الصالحات التي أعادت للمسلمين في إفريقيا والصحراء الكبرى مكانتها التاريخية حيث كانت طريقة تمتاز بوضوح مناهجها في الدعوة والإصلاح، حيث دعت إلى إحياء الدين الإسلامي ومحاربة الجمود ونبذ البدع، ومؤسسها أصيل محلة الواسطة على ضفتي وادي شلف وأسرته من قبيلة مجاهر التي ينضوي تحتها ما يزيد عن سبعين ألف نفس ولا تزال مستغانم مقرا لهذه الأسرة، وقد أسس ابن السنوسي الحركة المنسوبة إلى جده السنوسي حوالي عام **1837**م. على وجه التقريب ولقد اهتم الدارسون بهذه الحركة الإصلاحية خاصة رجال المخابرات الفرنسية والإيطالية ولقد ترك هؤلاء دراسات فيها الكثير من الدس والتشويه. عن تاريخ هذه الحركة الإصلاحية أنظر:

دي كاندول(ئي.آ.ف)، الملك إدريس عاهل ليبيا حياته وعصره، ترجمة وطبع محمد عبده بن غلبون منشستر بريطانيا1989م. ص3 وما بعدها.(الدجاني) أحمد صدقي، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر. بيروت. 1988م ص34 وما بعدها.

5- يقول الآغا بن عودة المزاري:"هو أبو عمامة البوشيخي الدرقاوي تلميذ السيد محمد بن العربي اليعلاوي الفلالي وعن ترجمة وحياة الشيخ بوعمامة أنظر:

المزاري الآغا بن عودة ،طلوع سعد السعود"في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، الجزء الثاني، بيروت، دار الغرب الإسلامي. 1990م. ص265.

Cheikh si Hamza Boubakeur, Un soufi algérien sidi cheikh, sa vie, son oeuvre, son rôle historique, ses descendants(Oulad sidi-cheikh), G.P.Maisonneuve et larose , Paris 1990 P:247.

أنظر أيضا الدكتور إبراهيم مياسي، ثورة بوعمامة(من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999م. ص161 وما بعدها.

6-Hamza Boubakeur, OP-CIT. P248.

7- زوزو (عبد الحميد)، أضواء على ثورة بوعمامة. 1881م. (مجلة الأصالة) الجزائر، السنة الخامسة. العدد 31. ربيع الأول. 1396هـ- مارس 1976م. ص .79

8- تنسب الطريقة الطيبية إلى السيد عبد الله الشريف. المتوفى عام 1089هـ-1679م. وقد انتشرت بشكل ملفت للنظر في الجنوب الغربي والغرب الجزائري على يد محمد الطيب حفيد مؤسس الطريقة والزاوية وحسب إحصاء 1882م. فإن عدد زوايا الطيبية وصل 20 زاوية، بمجموع 301 مقدم و15744. مريد حسب الضابط رين وأما الضابط ديبون ورفيقه كوبولاني فقد قدرا عدد مريدي الطيبية في عام 1898م بـ 22214 مريدا. وتساءل المقدم كوفي(CAUVET) عن سر العدد القليل من القباب والزوايا بالشرق الجزائري فلو أخذنا أوراق خريطة قيادة الأركان العامة بالقنطرة (بسكرة)، والأوراس والشريعة (تبسة)، وباتنة وعين البيضاء، لأننا لا نتمكن من اكتشاف إلا ما يزيد قليلا عن 6 قباب تقريبًا لمرابطين من المنطقة ومما يشهد على هندسة الأضرحة والقباب التأثر المعماري بهندسة القباب والأضرحة التونسية بالجريد.

ولو رجعنا لأي وثيقة تخص مراقبة الطرق الصوفية على اختلاف مواقفها من الاحتلال الفرنسي لبلاد المغرب (الجزائر،تونس،المغرب الأقصى)، لوجدنا دقة في مراقبة هذه الجمعيات السرية كما كانت تطلق عليها الأدبيات الاستعمارية، ومن الطرق الصوفية التي كانت حاضرة أثناء المقاومة في

تونس والجزائر وليبيا نذكر القادرية، الرحمانية، و السنوسية، وأما التجانية والطيبية فمواقفهما التقليدية في الجزائر كانت معروفة لا لبس في تعاملهما المخزي مع بداية الاحتلال مع فرنسا الاستعمارية وقد كانت مواجهتهما لجهاد الأمير وصمة عار في جبين هذه الطرق و يمكن أن يحدد المسار الذي نعالجه مع المجاهد بوعمامة في هذه الدراسة لتحديد مواقف الطرق الصوفية في الفضاء الجزائري منذ بداية الاحتلال بين الصدمة الاستعمارية وردود الأفعال الشعبية التي كانت تنظمها وتؤطرها هذه الطرق الشبيهة في عصرنا بالأحزاب السياسية والجمعيات الاجتماعية أو المجتمع المدني ،وحتى نقرب الصورة إلى القارئ نحاول رصد أشهر الطرق الصوفية التي مثلت ما يعرف في الأدبيات التاريخية اليوم:"بالإسلام الطرق" أنظر:

AHMED Nadir , « Les ordres Religieux et la conquête française (1830-1851) » - Revue Algérienne des sciences juridiques économiques et politiques ,N° 4 .décembre Alger 1972 P:841.

commandant CAUVET, Les Marabouts(petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique)(Revue Africaine) N°64 Année 1923 , Alger office des publications universitaire 1986.p:289.

تلمساني بن يوسف، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية) (رسالة ماجستير مخطوطة)، معهد التاريخ جامعة الجزائر السنة الجامعية 1418هـ-1998م. ص42 وما بعدها.

أنظر كذلك محمد الأمين بلغيث، تاريخ الجزائر المعاصر"دراسات ووثائق" القسم الخاص بالملاحق بعنوان الإسلام الطرقي بين الموقف الجهادي والصدمة الاستعمارية.

9- Si Hamza Boubakeur, un soufi algérien , op-cit. P: 248.

10- وحتى لا أتجاوز حدود الموضوعية فمن بين الجزائريين الذين كانوا أوفياء لتراثه وجهاده ونشر أعماله ورسائله أذكر أبو القاسم سعد الله، يحي بوعزيز، جيلالي صاري، عبد الحميد زوزو، وإبراهيم مياسي وغيرهم ممن لم تسعفن ذاكرتي ووثائقي المعتمدة لذكرهم.

11- الراشدي (الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الشقراني)، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط تحقيق وتقديم الدكتور ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م. ص18-20 -.23

12- نفسه. ص9 مقدمة المحقق.

13- المزاري، (الآغا بن عودة)، طُلوع سعد السعود، الجزء الثاني، ص.208

14- نفسه. ص.265

15- لقد توفي محمد بن علي السنوسي الكبير. عام 1856م. وقد ترك ثروة أدبية وعلمية رفعته إلى مصاف كبار العلماء والمصلحين ومن بين المؤلفات الخاصة به:

إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن. الجزائر. 1914م. مصر 1357هـ.

المنهل الروي الرائق في أسانيد العلم وأصول الطرق والطرائق، القاهرة 1373هـ-1954م.

الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، القاهرة. 1349هـ.

المسلسلات العشر في الأحاديث النبوية، طبع عام 1357هـ-1938م.

مقدمة موطأ الإمام مالك، 1374هـ-1954م.

السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين، طبع بأحد هوامش أحد كتب السنوسي وطبع بالقاهرة. عام 1353هـ- 1942م.

16- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع (1830-1954). دار الغرب الإسلامي. بيروت، 1998م. ص .108

17- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الخامس. ص508.

أنظر أيضًا: الأخضر (لطيفة)، الإسلام الطرقي (دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية، تونس. دار سراس، 1993م. ص53.

18-Si Hamza Boubakeur, un soufi algérien , op-cit. P: 248.

19- أنظر حول الأمان الذي كان يبحث عنه بوعمامة مع السلطات الاستعمارية والذي لم يُفهم، كما وقع للأمير عبد القادر الذي كان يبحث هو الآخر عن مخرج شرعي لعلاقات السلم التي حاول ربطها مع الجنرال ديميشيل ومع غيره في معاهدة التافنة التي كانت لها الوقع الكبير على مستوى الأدبيات الفقهية في عصره حول الجهاد وغيرها من القضايا الحسّاسة في علاقة المسلمين الحربية بينهم وبين دار الحرب.

أنظر: تحليل المزاري صاحب سعد السعود لطلب الأمير الآمان وكيف وصفه في هذه المرحلة :المزاري الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود. ج2. ص250 وما بعدها.

أنظر: بلغيث، (محمد الأمين)، دروس في السياسة الشرعية "دراسة و نصوص" الجزائر، منشورات بغدادي، 1420هـ-1999م. ص3.

ISMAIL,HAMET« Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger » ,présenté par/Ali Tablit;Thala éditions-les éditions Chihab;Alger 1999.P:12.

20- من المسائل التي يجدر التنويه بها في هذا المقام أن الشيخ بوعمامة كان قد استجاب للأوضاع الإقليمية والدولية المحيطة بالجزائر آنذاك فقد استجاب لمأساة الأشقاء في تونس الذين سقطوا تحت الحماية الفرنسية وآزر بثورته قبائل الخمير بالجنوب التونسي، كما استجاب لأطروحة الجامعة الإسلامية التي كانت تدعو للتضامن الإسلامي وتخليص المسلمين من الاستعمار الغربي، وقد كان بوعمامة شخصية محورية في هذه المرحلة، ومن بين الشخصيات المغمورة التي ساعدت بوعمامة مساعدة كبيرة تاجر السلاح "إبراهيم السوفي" بمدينة طنجة الدولية، ومن بين الشخصيات العالمية التي اتصلت بأبي بوعمامة أكثر من مرتين "إيزابيل إبرهاردت" للتفاوض حول الأمان الذي طرحه العقيد ليوتي (LIAUTY) الشهير بالمغرب الأقصى وأقصى الجنوب الغرب الجزائري ومما استقيته من اليومين الدراسيين أن الشيخ المجاهد بوعمامة البوشيخي اتصلت به الصحفية "عاشقة الشرق" "إيزابيل إبرهاردت" والصحفية الألمانية الأصل من أجل تحقيق هذا الأمان الذي طرحه بوعمامة وهذا بتشجيع من ليوتي (LIAUTY)، قاهر المغرب كما تسميه الأدبيات التاريخية المغربية، الذي نصح السلطات الاستعمارية بالتفاوض مع بوعمامة من أجل إيقاف القتال الدائر بين ثوار بوعمامة والقوات الاستعمارية الفرنسية الغازية راجع ملفات وكتابات ومحاضرات :الملتقى الثاني إيزابيل إبرهاردت عاشقة سوف: وادي سوف دار الثقافة لولاية الوادي، أيام 04،03،02، نوفمبر 1999م.